فيشرب كاساً من اللبن الفاتر مع قطعة من البسكوت او ما اشبه . واذا زاد تقدمهُ في السن حسُن بهِ ان ينام قليلاً بعد الفطور والغداء وقبل العشاء

وجملة القول ان الطعام في سن النمو يجب ان يكون كثيراً غير محدود . وفي سن الكهولة يجب ان يكون محدوداً معتدلاً في كميتهِ وكيفيتهِ بحيث لا يزيد بهِ ثقل الجسم . وفي سن الشيخوخة يجب ان يكون قليلاً في كميتهِ بسيطاً في كيفيتهِ

فكتوريا

ملكة الانكليز وامبراطورة الهند

٨

حياتها العائلية

كانت الملكة فكتوريا تكتب كل ما يجري لها يوماً بعد يوم حسب العادة الجارية عند كثيرين من الاوربيين . ولم تكن تقتصر على سرد الحوادث مجرَّدةً بل كانت تعقّب عليها بما يبدو لها من الآراء . وكانت تطالع الجرائد وتقرأ فيها الخطب والمناظرات التي تتلى في مجلس النواب والاعيان وتكتب خلاصتها واقتطفت من ذلك كتاباً نشرتهُ سنة ١٨٦٨ وضمنتهُ كثيراً من حوادث حياتها بين سنة ١٨٤٨ وسنة ١٨٦١ ثم اتبعتهُ بكتاب آخر سنة ١٨٨٣ نهجت فيهِ منهج الاول وجعلتهُ تتمةً لهُ . والَّف السر ثيودور مارتن كتاباً كبيراً بارشادها في ترجمة زوجها البرنس البرت وهو في خمس مجلدات . وكانت السيدات المنتظمات في خدمتها يكتبن في يومياتهن ما يرينهُ ويسمعنهُ منها وما يشاهدنهُ في قصورها . وكثيراً ما كنَّ يصفن ذلك في ما يكتبنَ بهِ الى اهلهنَّ وعليهِ فالمواد كثيرة لوصف حياتها كامرأة وزوجة ووالدة وكثيرة ايضاً لوصفها كملكة مما هو مشاهد من الارتقاء العظيم في ممالكها ومما كتبهُ كبار المؤرخين عن ملكها . وهي في كل حالٍ من هذه

الاحوال قد بلغت غاية ما يطلب من نوع الانسان من الكمال

والحياة سهول وحزون وصفاء وكدر والحكيم من لم تأخذه هزة الطرب اذا صفت له ولا ابطرته النعمة اذا جاءته ومن يتحمل الاكدار بالصبر الجميل ويتعظ بها ويتعلم منها الاشفاق على المبتلين ولقد احسن من قال

ألا إنما الدنيا كظلِّ غمامةٍ اذا ما رجاها المستظلُّ اضمحلَّتِ

فلا تكُ بِفراحًا اذا هي اقبلت ولا تكُ مزاناً اذا هي ولَّتِ

وما الملوك بمعزل عمَّا ينال ابناء نوعهم من ضروب السرَّاء والضراء وما هم بالنسبة اليها الاَّ على ما فيهم من الامزجة وما أُدبوا به من مهذِّبات الاخلاق ومثقفات العقول

ومن طالع الفصول الماضية عن حداثة الملكة فكتوريا وزوجها يتوقع لهما العيش الرغد لا بالنسبة الى انهما كانا محفوفين بكل اسباب الراحة والرفاهة لان هذه قد تسعد المرء وقد تشقيه بل بالنسبة الى حسن تربيتهما وتدينهما ورضي اخلاقهما. لكن نوائب الدهر لم تحالفهما وشمس الحياة لم تقوَ دواماً على تبديد غيوم الهموم والغموم من امامهما . واذا لم يكن في هذه الحياة الدنيا سوى المرض والموت فكفى بهما مكدرين لكل صفاء أُضيف الى ذلك حسد الحاسدين وحماقة الحمقى

واول بلية كادت تقع بهما ودفعتها الاقدار ان البرنس البرت ركب مرَّةً وذهب يطارد الاوعال واطلَّت الملكة من احدى كوى القصر فشاهدته راكباً فرساً جموحاً وقد عدا به في غابة غياء ملتفَّة الاشجار تخفق فؤادها ووقفت حيرى في امرها . ولطم البرنس بفرع كبير من فروع الاشجار فسقط عن الجواد وترضض قليلاً فركب جواداً آخر وعاد الى القصر والملكة بانتظاره وهي لا تكاد تصدق بسلامته وحدث ذلك بعد زواجهما بشهرين

وبعد شهرين آخرين كانت الملكة والبرنس سائرين في مركبة مفتوحة نحو شروق الشمس في جهة الروض الاخضر فلقيهما فتى في اثناء الطريق واخرج غدارة من جيبه واطلقها على الملكة فاجفلت الخيل واوقفها السائق لكن البرنس امره ان يبقى سائرًا والتفت الى الملكة وسألها عما اذا كانت قد ارتعبت مما جرى فضحكت وانفضت رأسها لكن الفتى صوّب غدارة اخرى واطلقها عليها واحنى البرنس رأسها فمرّت الرصاصة فوقهُ . وبادر الناس الى الفتى فامسكوهُ ووقفت الملكة في المركبة لتري شعبها انها لم تصب بمكروهٍ ثم اسرعت مع زوجها الى بيت اسها لئلاَّ يبلغها الخبر فتضطرب . وعادت بعد ذلك الى الروض وكان الذين فيهِ قد بلغهم ما جرى لها فاجتمعوا بمركباتهم واصطفوا صفين سارا حول مركبتها لحراسها وهي تومئُ اليهم وتشكرهم باسمة مسرورة ولكنها لما عادت الى قصرها ودخلت غرفتها اغرورقت عيناها بالدموع شكرًا لله واستعظامًا للخطر الذي نجت منهُ

وفي الصيف ذهبت هي والبرنس الى قصر وندزور هربًا من دخان لندن وهما بارعان في الفنون الجميلة فكانا يقضيان ساعات الفراغ في التصوير والنقش والموسيقى . ورزقت الملكة ابنةً في الحادي والعشرين من نوفمبر وهي ارملة فردرك وليم امبراطور المانيا المتوفّى ووالدة وليم الثاني الامبراطور الحالي . وقبل ان مرّت سنة على زواجها كان البرنس يجري على الجليد في بحيرة قصر بكنهام فانكسر الجليد به وسقط في الماء المثلوج ولو لم تبادر الملكة الى اغاثتهِ لكان الخطب عظيمًا

وحُكم بالقتل على الفتى الذي اطلق الرصاص عليها فكرهت ان يقتل احد بسببها وبعد مداولة طويلة في هذا الموضوع ابدل القضاة عقوبة القتل بالنفي . ويوم اشتهر هذا الحكم حاول رجل آخر قتلها واطلق النار عليها فاخطأها فقالت انني لا استغرب ذلك ما دام قتل الملوك يُعدُّ في شريعتنا ذنبًا سياسيًّا

لا جناية . وبلغ السر روبرت بيل ذلك وكان رئيساً للوزراء فبادر اليها ليتداول مع البرنس البرت في هذا الامر ولما وقع نظرهُ عليها اغرورقت عيناهُ بالدموع خجلاً مما جرى وللحال اقرَّت الحكومة الانكليزيَّة على ما طلبتهُ الملكة وهو ان تحسب محاولة قتلها جناية كبرى

وزارها في تلك الاثناء مندلسن الموسيقي الشهير وكتب الى امهِ يقول

" دعاني البرنس البرت لكي أرى ارغنهُ الجديد قبلما أبرح البلاد الانكليزيَّة فذهبت اليهِ ووجدتهُ جالساً وحدهُ في غرفتهِ ودخلت الملكة حينئذٍ بثياب الصباح وقالت أنها عزمت على المضي الى كلارمنت بعد ساعة ثم التفتت الى ما حولها وقالت انظروا كيف عبثت الرياح باوراق الموسيقى وملأت ارض الغرفة بها. وانحنت وصارت تجمعها فأخذنا نساعدها في ذلك أنا والبرنس . ثم رجوت من البرنس ان يضرب على الارغن اولاً حتى افتخر بذلك حينما اعود الى بلادي فضرب غيباً واجاد اجادة يفتخر بها كل موسيقي ووقفت الملكة بجانبهِ مسرورةً . وتلوتهُ أنا فضربت الفصل القائل ما اجمل اقدام المبشرين وقبل ان آتي على آخر السطر الاول شاركاني في الغناء .... ثم سألتني الملكة عمَّا اذا كنتُ قد نظمتُ اغاني جديدة وقالت انها مولعة باغانيَّ المطبوعة فقال لها البرنس اذنْ يجب ان تغني لهُ واحدة منها فامتنعت اولاً ثم قالت انها تغني وفتَّشت عن الاغنية فلم تجدها لانها كانت قد رُبطت مع بعض الاوراق والكتب لترسل الى كلارمنت حيث كانت عازمة ان تذهب . فقلت لماذا لا نفكُّها فنادت احدى السيدات لتفكها وتأتي بها ولما لم تحضر حالاً ذهبت هي بنفسها لتأتي بها . فأعطاني البرنس البرت حينئذٍ خاتماً بديعاً من الماس وقال ان الملكة ترجو منك ان تقبل هذه الهديَّة تذكاراً . ثم عادت الملكة وقالت ان الكتب قد أُرسلت الآن فلا سبيل الى إرجاعها. فقلت عساني أن لا أُحرم

مما وُعدتُ به بارسالها . فجعلت تتداول مع زوجها واخيراً قرَّ القرار على ان تغنيا اغنية اخرى فذهبا معها الى غرفتها لتفتش عن هذه الاغنية فوجدتْ هناك مجموعة من اغاني الأوَّل فطلبت اليها ان تغني واحدةً منها بدل تلك فأخذتها وغنتها ولم تخطئ الأَّ في صوت واحد منها واجادت في بقية الاصوات اجادةً لامثيل لها لكنها قالت انها خافت مني لاني استاذ هذا الفن فلم تحسن الغناء امامي. فمدحتها بما هي اهلهُ واشرت الى الصوت الذي لم تجِدْهُ . ثم غنى البرنس وغنيت انا واجدت على خلاف عادتي في مثل ذلك الموقف ثم استأذنت بالانصراف فطالبا مني ان اعود الى البلاد الانكليزية سريعاً وازورهما"

ومرَّت السنون بحوادثها الكثيرة والناس يسعدون ويشقون في اطراف المعمورة والملكة فكتوريا تشارك شعبها في سرَّائهِ وضرَّائهِ وزوجها يدرس الشرائع الانكليزيَّة ويحلُّ المشاكل السياسيَّة . ورزقهما الله اربعة بنين وخمس بنات من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٥٧ فربياهم في خوف الله

والملكة فكتوريا مشتهرة بالتقوى ولكنها تكره التعصب الديني . والادلة على ذلك كثيرة منها كلام كتبتهُ سنة ١٨٥٠ وكانت مدرسة اكسفرد الجامعة ومدرسة كمبردج الجامعة والمجلس البلدي في مدينة لندن قد بعثوا اليها وفوداً يشكون مما حسبوهُ اعتداء من الكاثوليك على سلطتها فكتبت " اني لا اريد ابداً ان اقول قولاً تشتم منهُ رائحة التعصب . نعم اني متمسكة بمذهب البروتستنت اشد التمسك وسأبقى متمسكة بهِ ما دمت حيَّة ومستاءة من الذين يظهرون التديُّن وهم غير متدينين لكنني آسفة جدًّا على ما اراهُ من التعصب الذي يبدو من كثيرين . ولا احتمل ان اسمع الاقوال التي تقال ضد المذهب الكاثوليكي لانها تؤلمني جدًّا ولأنها اعتداء على كثيرين من الكاثوليك الفضلاء . ومع ذلك فاني ارجو ان تزول اسباب هذا الاضطراب حالاً وتكون النتيجة حسنة على كنيستنا "

ومن كانت كذلك يسهل عليها ان تحكم ملايين من الناس على اختلاف مذاهبهم وتربي اولادها في خوف الله وحب القريب. ونشأ اولادها على ما ربتهم وابنتها الاولى صوِّرت صورة بديعة وهي في الخامسة عشرة من عمرها وعرضتها في معرض الصورة فبيعت بمئتي جنيه فدفعت ثمنها لارامل الضباط الذين قتلوا في حرب القرم وذلك ادلُّ دليل على حسن التربية والرأفة بالمبتلين

ولم تكتفِ بتعليم اولادها وتهذيبهم بل عودتهم هي وزوجها تحمُّل المشاق من صغرهم لكي يرثوا الرعية فكان الصبيان يعملون مع العمال في بستان قصر وندزور ويأخذون اجرة مثلهم وبنوا مرة حصناً بايديهم وضربوا لهُ الاجرّ وشووهُ ايضاً. وكان البنات يتمرنَّ على كل الاعمال المنزلية حتى الطبخ وكنَّ يطبخنَ ويوزعن ما يطبخنهُ على الفقراء. وكانت الملكة تقضي باولادها الى المعابد في اوقات العبادة وتنبه الى مواعظ الواعظين اشد الانتباه وتستفيد منها. قالت مرةً في يوميتها " وعظنا القس كيرد المحترم وهو من اشهر الوعّاظ في سكتلندا فابان لنا ان الديانة الصحيحة تتطلب على كل اعمال الانسان. لا تقتصر على القيام بالفروض الدينية ولا تمنع معاملة الناس بل تجعل صاحبها صالحاً في كل اعماله". وقد مدحت هذه العظة وامرت بطبعها على نفقتها

ودخلت سنة ١٨٦١ والحزن بين يديها فتوفيت فيها ام الملكة فحزنت عليها الملكة وزوجها واولادها حزناً شديداً وكان البرنس قد اصيب بالم عصبي في وجهه فجاء موت حماته واهتمامهُ الشديد بتوزيع تركتها لانها اقامتهُ وصيّاً عليها ضغثاً على ابالة. ثم بلغهُ ان الحمى التيفويدية دخلت بلاط ملك البرتغال فاماتت الملك واخاهُ وكان هذا الملك صديقاً حميماً لهُ فحزن عليهِ حزناً شديداً وجعل يفكر في زوال الدنيا ودنو الاجل وقال للملكة لو عرفت ان احبائي الذين اتركهم يُعتنى بهم الاعتناء الواجب لقلت اني مستعدٌّ لمفارقة هذه الحياة غداً

وكانت جراثيم الحمى التيفويدية قد دخلت بدنهُ من حيث لا يدري وحاربت جيوش الكريّات الدموية وتغلّبت عليها فلزم فراشهُ اياماً وهو يزداد ضعفاً وسقماً والملكة قائمة على خدمتهِ بنفسها لا تفارقهُ ساعةً. ولما دنا الاجل اجتمع اولادهُ في غرفتهِ وركعوا حول سريرهِ هم ووالدتهم فتنفّس النفس الاخير وفاضت روحهُ الى باريها. ولا تسل عمّا شمل البلاد الانكليزية من الدهشة والكآبة. اما حزن الملكة عليهِ فلا يصفهُ لسان ولا يعبر عنهُ قلم. وقفت في اول الامر حيرى وقد جفّت الدموع من عينيها خوف الاطباء من ذلك واوجسوا شرًّا ثم احتضنت ابنتها الصغرى ففاضت عيناها بالدموع وجرى الحزن مجراهُ الطبيعي. ولولا ذلك لقضى عليها. وقد تكرّر هذا المصاب على الملكة بموت ابن وابنة وحفيد ولكن موت زوجها كان اشد مصاب عليها ولم تبرأ نفسها من اثرهِ حتى الآن. وتزوّج اولادها بعد ذلك وتوالت عليها اسباب الهناء والسرور لكن حزنها لم يفارقها ولو لم يصرفها عن القيام بمهام ملكها والاهتمام بشأن اولادها

وتعلّمت من هذا المصاب الفادح ان ترثي لكل مُصاب من رعاياها ومن غيرهم. وقد انتبه المصورون لذلك فصوروها وهي تزور المستشفيات وتكلم المرضى وتواسيهم وترثي لمصابهم كما ترى في الشكل الاول وقد حدث ذلك في مستشفى لندن سنة ١٨٧٦ فانها كانت تطوف في غرف ذلك المستشفى يوماً ما وبلغ اذنهَ صغيرة انها هناك فجعلت تنادي بأعلى صوتها دعوني ارَ الملكة فان رأيتها زال مابي من المرض. وبلغ الملكة ذلك فاسرعت اليها واخذت بيدها وجعلت تكلمها باللطف والدعة كما ترى في الصورة الاولى. وصوّروها ايضاً وهي تصنع الاحرمة بيديها كما ترى في الصورة الثانية لتبعث بها الى المرضى في المستشفيات. ذلك فوق الاموال الطائلة التي تجود بها كل سنة على المحوزين. نعم ان حراماً تصنعهُ لا